الفصل الرابع : وصف بعض التحف الموجودة فى منازل صنعاء

أولا : التحف الخشبية

الأبواب - المشربيات - الرفارف - الدواليب الحائطية

ثانيا : التحف المصنوعة من الرخام والجص

الستائر الرخامية - الستائر الجصية - الأرفف الجصيه

أولا : التحف الخشبيه

تضم منازل صنعاء العديد من التحف الفنية منها ما هو مصنوع من الخشب أو الجص أو الرخام أو المعادن، وهذه التحف تمتاز بغنائها بالزخارف المتنوعة النباتية منها والهندسية والحيوانية والكتابية تعكس مدى اهتمام وشغف أهل صنعاء لاقتناء التحف الجميلة وشرائها بأغلى الاثمان ليزينوا بها منازلهم سواء كانت هذه التحف عبارة عن أبواب أو نوافذ أو رفارف أو مشربيات أو فازات أو ستائر جصية أو ارفف.

أولا : التحف الخشبية

تفتقر بلاد اليمن إلى الأخشاب الجيدة اللازمة لصناعة التحف الخشبية مثل خشب الأرز الذى كان متوافرا فى بلاد الشام [١] وخشب الساج الهندى والأبنوس وغير ذلك من الأخشاب.

وقد اعتمد صناع الخشب اليمنيين على بعض الأخشاب المتوافرة فى البيئة المحلية كالسدر واجوز والقرض والعرعر والطلح والتنار والاثل وغيره[٢].

(١) سعاد ماهر (د) : الفنون الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتابة ، ١٩٨٦ م ، صفحة ٢٠٢

(٢) مصطفى عبد الله شيحه (د) : مدخل إلى العمارة والفنون الاسلامية فى الجمهورية اليمنية ، وكالة سكرين الدولية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، صفحة ١٤٢

وقد مرت صناعة التحف الخشبية اليمنية بنفس مراحل تطورها فى مختلف بلدان العالم الإسلامى بدءا من العصر الأموى الذى غلبت على منتجاته التأثيرات الهلنستية فى الشام والأساليب الساسانية فى العراق بينما حافظت مصر على تقاليدها المحلية القبطية، أما فى العصر العباسى فقد ساد أسلوب الحفر المشطوف الذى انتقل إلى مصر فى العصر الطولونى متأثرا بأسلوب الرسم على الجص فى سامراء، ومنذ أواخر العصر الفاطمى بدأت التشكيلات النجمية تتطور رويدا رويدا فظهر ما يعرف بالطبق النجمى فى العصر الأيوبى ثم المملوكى والعثمانى (١).

أما عن أسلوب صناعة وزخرفة الأخشاب فى اليمن فقد استعمل النجارون اليمنيون الأساليب المختلفة كالحفر بنواعه: العميق المتوارث عن الأساليب الهلنستية والحفر المشطوف الذى تأثروا به من سامراء العباسية(٢)، إلى جانب الحفر البارز علاوة على طرق التطعيم والتعشيق والتجميع والتخريم أو التفريغ وأسلوب الخرط (٣).

وتعتبر طرق الحفر والتجميع والتعشيق والتخريم من أكثر الطرق التى استخدمها الفنان اليمنى على منتجاته الخشبية ونتبين ذلك من خلال التحف التى وصلتنا سواء كانت أسقف خشبية منفذة بأسلوب المصندقات ذات الزخارف النباتية والهندسية والمحفورة والملونة كما فى أسقف الجامع الكبير فى صنعاء وجامع شبام كوكبان وجامع ظفار ذى

---

(١) سعاد ماهر (د) : الفنون الاسلامية ، ص ٢٠٣

(٢) حسن الباشا (د) : مدخل الى الآثار الاسلامية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ٤٢٩ .

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق (د) : الفنون الزخرفية فى العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ صفحة ١٦٥ - ١٦٦

بين وجامع السيدة بنت أحمد فى جبلة والجامع الكبير فى أب وجامع ذى أشرق وغيرها من المساجد (١).

كما استخدم كل من أسوب الحفر والتجميع والخرط فى صناعة المنابر والتوابيت الخشبية مثل منبر الجامع الكبير بصنعاء ومنبر جامع أب ومنبر جامع جبلة ومنبر جامع الجند وتابوت الإمام المنصور بالله فى الجامع الأبهر بصنعاء وتابوت الإمام المهدى عباس فى صنعاء وغيرها من التوابيت التى تنتشر فى أغلب مساجد صنعاء (٢).

أما الأبواب والنوافذ وخاصة تلك التى مازالت باقية فى منازل صنعاء فقد ساد فيها أسلوب الحفر وأحيانا التعشيق فى حين ساد الخرط والتخريم والسدايب فى صناعة المشربيات والرفارف الخشبية التى تعلو صفوف النوافذ.

وقد استخدم الفنان اليمنى مختلف أنواع الزخارف فى تجميل تحفه الخشبية وأن كانت أهم أنواع الزخارف هى تلك المستمدة من العناصر النباتية والهندسية فى تشكيلات زخرفية جميلة قوامها أشكال منتظمة من المربعات والمستطيلات والمعينات إلى جانب الأطباق النجمية وأجزائها ووحداتها المختلفة بالإضافة إلى أشكال العقود المفصصة والمدببة التى تتخذ أشكال المحاريب (٣).

---

(١) مصطفى عبد الله شيحه (د) : المرجع السابق ، ص ١٤٣ ـ ١٤٦ ربيع حامد خليفة (د) : الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الاسلامى ، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، صفحة ١٢٠ ـ ١٤٥

(٢) مصطفى عبد الله شيحه (د) : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ـ ١٥٢ ، ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٦٥ ـ ٩٦

(٣) مصطفى عبد الله شيحه (د) : المرجع السابق ، ص ١٤٣

وكذلك أشكال النجوم السداسية والخماسية وحبات اللؤلؤ والدوائر وانصافها والجدائل والزخارف المسننة.

كما استخدم العناصر النباتية من زهور وأوراق متعددة الفصوص على هيئة تجميعات أفريزية أو أشكال كأسية أو تلك التى يستطيل فصها الأوسط إلى جانب الأشكال المحورة والمجردة (١).

وتعبر الورقة الثلاثية من الكثر العناصر النباتية التى مثلت على أبواب ونوافذ منازل صنعاء بحيث يتخذ فصها الأوسط شكل رمحى يتوسطه ثقب صغير (٢).

تلك كانت مقدمة عن أنواع الزخارف المستخدمة فى التحف الخشبية اليمنية أما بالنسبة للتحف نفسها فهى متنوعة ما بين أبواب ومشربيات وشبابيك ورفارف خشبية وغيرها.

١ ـ الأبواب :

كان للنجار اليمنى اهتمام خاص يعمل مصاريع الأبواب الخشبية وزخرفتها بشتى أنواع الزخارف سواء أكانت مصاريع الأبواب الرئيسية أو مصاريع الأبواب الداخلية.

(أ) الأبواب الرئيسية

وهى التى تغطى المدخل الرئيسى للدار باتجاه الشارع وهى على نوعان : أبواب الأفنية ـ وأبواب المنازل.

---

(١) مصطفى عبد الله شيحه (د) المرجع السابق ، ص ١٥٠

(٢) Guillemette et Paul Bonnenfdnt, Op . cit ., P . 24

١ ـ أبواب الأفنية :

يحيط بكثير من منازل صنعاء أفنية (حوش) عادة ماتزرع بالأشجار والفواكه والخضروات ويبنى الفناء من الحجر الأجر أو اللبن على هيئة سور يحيط بالمنزل وعادة يكون للفناء مدخل واحد تغلق عليه أبواب خشبية كبيرة ومستطيلة تتكون من مصراعين أو أكثر، زخرفت أوجهها الخارجية بصفوف أفقية أو رأسية أو على هيئة دوائر من المسامير المقوبجة ويزين الحافة الداخلية للمصراع الأيسر قائم خشبى يعرف باسم المشراف وغالبا ماتنفذ عليه زخارف فى غاية الروعة والجمال .

وأحيانا يفتح فى المصراع الأيمن باب صغير يعرف باسم الخوخة مخصص لدخول أهل الدار لأن الباب الأكبر لا يفتح الا عند دخول الحيوانات أو شيء ما أكبر من الخوخة، وتوجد فى المصراع الأيمن مطرقة معدنية (سماعة) مكونة من لوحة معدنية حرة الحركة مثبتة من أعلى يطرق بها على مسمار مقوبج لاسماع من بالداخل بقدوم شخص ما يريد الدخول .

٢ ـ أبواب المنازل :

وهى تلك التى تغلق على فتحة الدار الرئيسية سواء أكان هناك فناء يحيط بالدار أم لا يوجد وغالبا ما يكون هذا الباب مكون من مصراع واحد يتخذ شكل فتحة الباب فإذا كانت فتحة الباب متوجة بعقد دائرى جاء مصراع الباب على نفس الشكل ويتكون مصراع الباب من ألواح خشبية رأسية وأفقية مثبتة فى بعضها بواسطة التعشيق إلى جانب المسامير المقوبجة على عوارض وقوائم خشبية من الدخل [١]، وقد قسم الصناع

(١) غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية ، ص ١٦١

الوجه الخارجى لمصراع الباب إلى عدة أقسام وأطلق على كل قسم منها اسم . . ومنها :

(أ) **الطبلة Tabala** وهى حشوة مستطيلة تمتد بعرض الباب من الاعلى والأسفل : العلوية منها توجد فى القسم الثابت من الباب وغالبا ما تضم كتابات دعائية مثل (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، الملك لله، لا اله إلا الله، وبعضها تضم الشهادتين وبعض الآيات القرآنية أو أبيات شعرية وعبارات دعائية شيعية، وقد تشتمل على زخارف نباتية من الأرابسك أو زخارف هندسية أو كلاهما معا قوامها أطباق نجمية ونجوم ثمانية أو سداسية محصورة داخل دوائر تحيط بها أشرطة من فروع نباتية[1]، أما الطبلة السفلية فتمثل الجزء العلوى من المصراع المتحرك من الباب وهى مزخرفة بنفس زخارف الطبلة السابقة .

(ب) الجبهة : وهى حشوة مستطيلة أو على هيئة عقد نصف دائرى تحتل أعلى جزء من الباب الثابت أسفل الطبلة العلوية وتكون عادة مزخرفة بزخارف نباتية ارابسكية أو هندسية وقد سميت بالجبهة لأنها تقابل جبهة الشخص الداخل .

(جـ) المشراق : وهو عبارة عن قائمين من الخشب على هيئة اطارين على حافتى الباب الرأسية تتخذ قمة كل منهما شكل نصف عقد مفصص وعلى واجهتها زخارف هندسية ونباتية محفورة .

(د) المحـــراب : يزين واجهة الباب المتحرك أسفل الطبلية السفلى

(١) Guillemette et Paul Bonnenfant, Op . cit., P . 41 - 49

حشوتين مستطيلتين فى وضع رأسى يفصل بينهما بخارية تعرف باسم الترنجة، ويتوج كل منهما عقد مفصص بحيث تأخذ كل حشوة شكل المحراب، وقد نفذت على هذه الحشوات العديد من الزخارف الهندسية والنباتية قوامها بخاريات تضم بداخلها زخارف نباتية وعادة ما يتوسط بخارية كل محراب حلقة معدنية لشد الباب واغلاقه .

(هـ) **الترنجة** : وهى عبارة عن قطعة خشبية شكلت على هيئة بخارية تتوسط حشوتى المحرابين أو تكون داخل أحد المحرابين ينتهى طرفها العلوى والسفلى على هيئة ورقتين ثلاثيتين وهذه الترنجة تشبه إلى حد كبير بخاريات المصاحف وغالبا ما تثبت عليها مطرقة حديدية (سماعة) تعرف باسم (المدق) .

(و) **المغلقة** : تحتوى أبواب منازل صنعاء على أربعة أنواع من المغالق المزلاجية أو المنفصلة بعضها مخصص للوجه الخارجى والبعض الآخر للوجه الداخلى.

١ ـ المغلقة ذات المفتاح الخشبى

هذه المغلقة تقفل وتفتح من الخارج وتسمى مغالق ساقطة وهى عبارة عن قطعة خشبية عرضية تتحرك يمينا ويسارا داخل قطعة أخرى مثبتة على شكل رأسى ويوجد فى القطعة العرضية ثقوب فى الوجه العلوى وعند اغلاقها تهبط من القطعة الرأسية اسنان داخل تلك الثقوب فلا يمكن فتحها إلا بمفتاح خشبى فى احد طرفيه عدد من الأسنان البارزة بنفس عدد اسنان وثقوب المغلقة حيث يدخل المفتاح من الجانب الأيمن للقطعة الأفقية من خلال تجويف خاص ويرفع إلى أعلى فترتفع السنون الهابطة

من القطعة الرأسية ثم تسحب القطعة الأفقية فيفتح الباب .

٢ ـ المغلقة ذات المفتاح المعدنى :

وهذه المغلقة عادة ما يتم تركيبها فى الوجه الداخلى من الباب وتعرف باسم (مغلقة قلاب) وهى تشبه المغلقة السابقة إلا أنها تتميز عن الأولى فى أنه بالامكان فتحها من الداخل أو الخارج بواسطة مفتاح معدنى عن طريق ثقب فى الباب يتصل بالمغلقة بحيث يدار المفتاح يمينا أو شمالا للفتح أو الاغلاق .

٣ ـ المغلقة الغثيمية :

وهى عبارة عن قطعتين من المعدن كل منهما يتكون من شكل مقوس القطعة الأولى يوجد فى أحد طرفيها ثلاثة ثقوب وفى الآخر ثقب، أما القطعة الثانية ففى أحد طرفيها ثلاثة اسنان تشبه شوكة الأكل وفى الطرف الآخر سن واحد وعندما يتم ادخال هذه الأطراف ببعضها فى كلا القطعتين يشتبكان معا فلا يمكن فتحها إلا بمفتاح خاص .

٤ ـ المغلقة ذات الحبال :

توجد هذه المغلقة فى الوجه الداخلى من الباب ويتم فتحها واغلاقها بواسطة حبل يمتد من الباب وحتى آخر طابق فى المنزل فى مجرى خاص له فتحه فى كل طابق فإذا ما طرق أحد على الباب يريد الدخول وسمح له بذلك يشد الحبل فتفتح المغلقة وبعد دخول الشخص يقفل الباب بنفس الطريقة وإذا ما خرج أحد من أهل الدار فإنه يعيد الباب إلى مكان الاغلاق ثم يقوم بشد حبل صغير متدلى عبر ثقب على واجهة الباب

فتقفل المغلقة ولا يمكن فتحها بهذا الحبل لإنه مصمم للغلق وليس للفتح[1].

وكما سبق القول فإن واجهات هذه الأبواب مزخرفة بالعديد من الزخارف المحفورة الغائرة أو البارزة أو المشطوفة وإلى جانب ذلك استخدمت الزخارف بواسطة الرسم بالدهانات والمنفذة بطريقة اللاكيه والذى يبدو أن اليمن عرفته ابان الوجود العثمانى فى اليمن ومن أهم الأبواب المزخرفة بواسطة اللاكيه باب بيت فضل بن على الأكوع المكون من مصراعين يزين كل منهما ثلاث حشوات أوسطها أكبرها تزدان بشكل زهرية تخرج منها الأغصان المزهرة ويعلوها هلال يتوسطه نجمة أما الحشوات العلوية والسفلية فقد زينت كل منها بوريدة تحيط بها أرباعها فى أركان الحشوة.

(ب) أبواب الغرف :

تختلف أبواب الغرف من حيث الشكل والحجم من باب إلى آخر حسب اتساع وارتفاع الباب وكذلك حسب أهمية الغرفة التى يوجد فيها الباب وعادة ما تكون من مصراعين فى غرف السكن، وتتعدد المصاريع من ٢ ـ ٦ مصاريع فى أبواب المفارج.

وتتميز جميع الأبواب بشكل عام بان واجهاتها الداخلية غنية بالزخارف بحيث يتم تقسيم كل مصراع إلى ثلاث حشوات العلوية والسفلية مربعتان والوسطى مستطيلة زينت بزخارف نباتية ارابسكية نفذت بواسطة الحفر العميق قوامها أشكال مجردة لأوراق ثلاثية محورة

(١) ربيع بحامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠

تخرج من أشكال تشبه الزهريات كما فى حشوات بيت الشهارى إلى جانب الزخارف الهندسية المتمثلة فى الأطباق النجمية وأشكال النجوم الثمانية كما فى أحد حشوات باب ديوان بيت الشهارى .

كما استخدم التطعيم فى زخرفة الأبواب الداخلية وخاصة أبواب المفارج والدواوين استخدمت فيها مختلف أنواع الأحجار الكريمة نظرا لوجود الأمان الكامل لها على اعتبار أنها موجودة داخل الدار، وقد ازدهر فن التطعيم على الأبواب فى صنعاء فى القرن ١٢ ـ ١٨م وخاصة استخدام السن فى التطعيم ومن أهم الأبواب التى طعمت بالسن باب مفرج بيت حمود اليمانى الذى اعتمد الفنان فى تنفيذ زخارفه على العناصر الهندسية وخاصة النجوم والمعينات والأشكال السداسية وكذلك باب مفرج بيت الشهارى الذى تشاهد فى حشواته المطعمة الأطباق النجمية والزخرفة العربية المورقة (الأرابسك) إلى جانب أشكال الصلبان التى تحصر بداخلها شجرة محورة تتفرع إلى ثلاثة فروع ينتهى كل فرع منها بورقة ثلاثية .

كما استخدام أيضا أسلوب الرسم بالدهانات فى زخرفة أبواب المفارج والمنفذ بأسلوب اللاكيه ومن أهم الأبواب التى نفذت فيها الزخرفة بواسطة اللاكية باب مفرج بيت القاضى على عبدالله العمرى وباب بستان الخير المعروف بيا الكشك، وباب بيت فضل بن على الأكوع (١)

أبواب النوافذ :

نظرا لبرودة الجو فى صنعاء فإنه يغلق على فتحات نوافذ منازل صنعاء من الداخل مصاريع خشبية يختلف عددها من نافذة إلى أخرى حسب اتساع النافذة والغالب أن تكون ما بين (٢ ـ ٤ مصاريع) يتم فتح كل مصراع نحو الخارج وأحيانا يفتح فى كل مصراع من مصاريع النوافذ خوخة صغيرة تفتح عندما يراد تجديد هواء الغرفة دون السماح لتعرض الغرفة للبرد أو الحرارة.

وقد زينت الأوجه الداخلية لمصاريع النوافذ بإبدع وأجمل الزخارف الفنية بحيث تعتبر كل نافذة بمثابة لوحة فنية متناسقة مع زخارف الجدران الداخلية وتشمل هذه الزخارف العناصر النباتية المختلفة داخل حشوات محفورة حفرا بارزا على هيئة المحاريب أو الحشوات المربعة أو أشكال العقود المفصصة قوامها وريدات ثمانية وسباعية البتلات وفروع متموجة تخرج منها أوراق محورة نفذت بأسلوب الأرابسك كما نراها فى جزء من مصراع شباك فى ديوان بيت الخميسى إلى جانب أشرطة تحيط بمصراعى الشباك الصغير الذى يشبه الخوخة قوام زخارفها لفائف نباتية محورة ومن أمثلتها مصراع شباك بيت على السمة القريب من السائلة فى حارة الجلاء الذى سيد سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م كما تضم بعض مصاريع النوافذ حشوات مربعة مزينة بواسطة الحفر البارز بزخارف هندسية قوامها أطباق نجمية ومسامير على هيئة الوريدة الثمانية البتلات على أحد شبابيك ديوان بيت فاخر وبعض مصاريع النوافذ زخرفت بحشوات بارزة على هيئة بخاريات مستطيلة أو جامات مستطيلة شُكل ضلعاها القصيران على هيئة عقود مفصصة كما فى

مصراع شباك مفرج الدار الجديد والبعض الآخر زخرفت فيه الحشوات المستطيلة فى مصاريع النوافذ على هيئة بخاريات محفورة كما فى شباك بيت فايع ، وبعض أبواب الشبابيك زخرفت على هيئة فتحة باب متوجه بعقد ذو فصين بحيث ينقسم الباب إلى نصفين كل نصف منه فى مصراع كما فى شباك بيت الحيمى والذى نشاهد عليه العديد من الزخارف النباتية المحورة على هيئة أشرطة تحيط بالباب الزخرفى تحصر بداخلها دوائر من المسامير شكل الجزء العريض منها على هيئة وريدة، وبعضها زخرفت بأشكال الزهريات أو مجموعة من زهور القرنفل فى تشكيلات تشبه الشجيرات الصغيرة ويحيط بحزمة الزهور اطار على هيئة لفائف أو فروع تخرج منها أوراق وزهور عباد الشمس، وخير مثال على ذلك الوجه الداخلى لمصراع شباك مفرج بيت البليلى والتى توضح بجلاء التأثيرات العثمانية على زخارف الأخشاب اليمنية التى جاءت مع الاحتلال العثمانى لها وهذا النوع من الزخارف يشاهد بكثرة على زخارف أبواب وجدران منطقة بئر العزب على وجه الخصوص.

٢ ـ المشربيات:

يوجد فى منازل صنعاء ثلاثة أنواع من المشربيات ، النوع الأول المحلى الذى لا يكاد منزل من المنازل يخلو من وجوده وهو المعروف عند أهل صنعاء باسم الشباك وهو عبارة عن ساتر من الحجر أو الأجر يبرز عن سمت جدار عتبة النافذة نحو الخارج بحوالى ٣٠سم ويستند على كوابيل خشبية أو حديدية أو بلاطات حجرية طويلة أو طابوق متدرج

يأخذ شكل رؤوس الحيوانات والطيور [١] ويتخلل هذا الساتر فتحات عديدة فى الأرضية والواجهة منه تسمح بدخول تيار من الهواء لتجديد هواء الغرفة وبمعنى آخر فإنها تؤدى وظيفة المشربية أما الفتحات الموجودة فى أرضية الشباك فيمكن منها النظر إلى الشارع ومشاهدة من يطرق الباب ولذلك يكثر وجود مثل هذه الشبابيك فوق الأبواب وكذلك فى الجدران الخارجية للسلالم وجدران القاعة الوسطى والتى تفصل بين الحجرات وكذلك توجد فى أعالى الجدران .

أما النوع الثانى من المشربيات فيعرف عند أهل صنعاء بالشباك العربى والذى يصنع من الخشب على هيئة ستائر مشبكة تأخذ شكل صندوق أو قفص بارز منشورى الشكل يبدأ عريضا عند القاعدة ويضيق كلما ارتفع إلى أعلى حتى يتساوى مع سمت جدار الواجهة [٢] ويصنع عادة من الخشب الخرط أو على هيئة سدايب متقاطعة متداخلة فى بعضها بحيث تؤلف مربعات ومستطيلات صغيرة هندسية الشكل بالإضافة إلى الأشكال الدائرية والنصف دائرية والأشكال المفرغة على هيئة أصلبة وهذا النوع من المشربيات يخلو من الزخارف وأن وجدت فعلى هيئة زخارف دقيقة من الكتابات أو الأوراق النباتية والأشكال الهندسية وخاصة الأشكال النجمية تزين السدايب واطاراتها كما زخرفت الكوابيل بزخارف حيوانية تتمثل فى الطيور وخاصة الطواويس إلى جانب المشكاوات .

---

(١) مصطفى عبد الله شيحه (د) : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ، غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية ، ص ١٦٢

(٢) عبد الله الشيبة (د) : المرجع السابق ، ص ٥٨

ويتمثل النوع الثالث من المشربيات الجميلة التى تعتبر تحفا فنية رائعة الجمال والمعروفة فى صنعاء باسم (الشباك التركى) لأنه قدم إلى اليمن مع الأتراك العثمانيين [١] ويوجد منه نوعان :

(أ) نوع عبارة عن صندوق مستطيل الشكل مصنوع من الخشب العادى المفرغ أو من السدايب أو من الخرط والتى لا تزال أغلب منازل صنعاء تحتفظ بامثله جيدة منها محمولة على كوابيل بنفس الطريقة السابقة ألا أن زخارفها تتسم بالبساطة والتى ربما تمثل بداية مرحلة دخول هذا النوع إلى اليمن حيث لم تكن الفكرة والمهارة قد تبلورت عند الفنان اليمنى حيث طبعها بطابع زخرفى عربى يتمثل فى قلة الزخارف وتحويرها وخير مثال على ذلك مشربية على أحد منازل حارة الأبهر .

(ب) نوع آخر يتضح فيه الفخامة وحسن الصنعة ومهارة الفنان مما يدل على أنها صنعت فى فترة أصبح الفنان اليمنى فيها قادر على تقليد الأساليب التركية بل وابتكار الجديد منها، وهذا النوع تكون فيه المشربية على هيئة صندوق متعدد الأوجه يبرز كثيرا عن الدران وأحيانا تكون المشربية من عدة طوابق صغيرة فى كل طابق منها توجد فتحات نوافذ على شكل عقود متجاورة [٢]، وقد ظهر هذا النوع أول ما ظهر فى منطقة بئر العزب التى شيدها العثمانيين فى عصرهم الأول حيث يغلب على بيوتها الطابع العثمانى ثم انتقل هذا النوع من المشربيات إلى حارة

---

(١) زيد بن على عنان : المرجع السابق ، ص ٤٠

(٢) مصطفى عبد الله شيحة (د) : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ـ ١٥٧

المتوكلية التى بناها الائمة الزيدين فنرى العديد من المشربيات على قصورها مثل قصر بنت الإمام الذى بنى سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م وقصر ابن الإمام يحيى سيف الإسلام عباس .

٣ ـ الرفارف الخشبية :

كما سبق وأن ذكرت انه يعلو المستوى الأول من النوافذ رفارف خشبية بارزة عن سمت الجدار بحوالى ٣٠ سم تعرف عند أهل صنعاء باسم (الكنة) المأخوذة من اللفظ المحلى (الكنان) فيقال فلان يكنن بجوار الحائط بمعنى يحتمى من المطر والكنه هنا حماية للنافذة من المطر وتقوم الرفارف على عوارض خشبية مبنية فى أصل البناء والغرض منها حماية النوافذ الخشبية المزخرفة عند فتحها من تعرضها لقطرات المطر واشعة الشمس وكذلك اضفاء مزيد من الجمال على الواجهات بما تحمله من زخارف ذات تشكيلات جميلة هندسية ونباتية وحيوانية .

ويغلب على زخارفها العناصر الحيوانية المتمثلة فى الطيور الصغيرة المتقابلة والمتدابرة أو الأسود المتواجهة يفصل بينهما نسر ناشر جناحيه وقد تكون الأسود واقفة على تاج بارز يعلو الرفرف وكذلك الحال بالنسبة لبعض الطيور كما زينت الرفارف برسوم صغيرة محفورة لأنواع من الطيور أو الحيوانات بعكس الرسوم السابقة التى نحتت مجسمه .

أما بالنسبة للزخارف النباتية فتتجلى فيها العناصر النباتية من أوراق وزهور إلى جانب الزخارف العربية المورقة (الارابيسك) أما الزخارف الهندسية فنجد منها على الرفارف نماذج مختلفة منها عقود مفصصة أو أشكال مظفرة وأشكال مجردة عن الطبيعة .

٤ ـ الدواليب الحائطية :

من المعتاد فى منازل صنعاء أن توجد خزانه أو أكثر (دولاب حائط) فى كل غرفة من غرف الدار يغلق عليها مصاريع خشبية لا تقل فى زخرفتها وقيمتها الجمالية والفنية عن زخارف الأبواب والنوافذ أن لم تكن أكثر جمالا .

ويوجد نوعان من هذه الخزائن نوع يحتل زوايا الغرف وتكون بارزة إلى الداخل والنوع الآخر يشغل حيزا من الجدران الداخلية وقد زخرفت هذه الخزائن بزخارف هندسية وحيوانية ونباتية جميلة ومن أمثلتها : خزانتان فى بيت الشهارى وبيت محمد اليمنى الأولى خزانة كبيرة مقسمة إلى ثلاث مناطق مستطيلة رأسية فى كل منطقة منها حشوة وسطى مستطيلة واعلاها وأسفلها حشوة مربعة وكل حشوة من حشوات الخزانة مزخرفة بعناصر مختلفة منها الأطباق النجمية المكررة والمتداخلة مع بعضها ومنها أشكال الصلبان والمربعات إلى جانب الأشرطة المظفورة وأهم ما تمتاز به هذه الخزانة هو تطعيم زخارفها بالعاج والسن مما جعلها تبدو أكثر جمالا والخزانة الأخرى نجد أن زخارفها مطعمه بالعاج عبارة عن أشكال نجمية سداسية تحيط بها نجمة سداسية أكبر مكررة فى كل أجزاء الحشوة وتستخدم هذه الخزانات لحفظ الملابس والحلى والأشياء الثمينة ويختلف فيها حجم الخزانة من منزل إلى آخر فبعض الخزانات ذات مصراعين والبعض الآخر ذات ثلاثة مصاريع أو أربعة .

ثانيا : التحف المصنوعة من الرخام والجص :

سبق الذكر أن منازل صنعاء تتميز باستخدام الرخام والجص بكثرة فى الزخرفة سواء لكسوة الجدران الخارجية أو لتحلية الزخارف الخارجية أو لسد الفتحات الدائرية والنصف دائرية، ومن أهم التحف الرخامية والجصية :

١ ـ الستائر الرخامية

استخدمت الواح الرخام الرقيقة الشفافة فى عمل القمريات فى سمك لا يزيد عن١ سم لتغطية النوافذ الدائرية الصغيرة سواء فى البيوت أو المساجد أو الأضرحة ويرجع هذا الأسلوب إلى أصول يمنية قديمة حيث تشير المصادر إلى وجود بيوت عالية لها نوافذ صغيرة يغطيها لوح أو لوحان رقيقان من الرخام الشفاف المعروف باسم القمرية يسمح بدخول الضوء ولا يسمح برؤية من بالداخل.

أما فى منازل مدينة صنعاء فلا يكتاد منزل من منازلها يخلو من الستائر الرخامية المعروفة باسم القمرية ولعل سبب تسميتها بذلك لأن الشكل العلوى المعقود من النافذة يأخذ شكل نصف دائرة أى على هيئة أحدى فترات تكوين القمر [١] وغالبا ما يغشى هذا الجزء بلوح أو أكثر من الرخام الأبيض الشفاف [٢] وقد ترجع التسمية إلى بياض لون اللوح الرخامى (شفافية اللوح الرخامى) الذى يجعل النور عند نفاذة من خلال

---

(١) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٠٢

(٢) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٤

اللوح ذو لون أبيض هادئ اشبه بضوء القمر كما أن بعض النوافذ تأخذ الشكل الدائرى الذى يشبه القمر عند تمامه [١] .

وتعتبر صناعة القمريات من اختصاص أهل صنعاء أكثر من غيرها من المدن اليمنية الأخرى وكانت الألواح الرخامية تستخرج من مقالع عظيمة فى باطن الأرض على عمق أكثر من ثمانية أمتار من عدة محاجر منتشرة فى اليمن من أهمها محجر (الحمزة) فى شبام الفراس ثم تقطع إلى الواح رقيقة حسب الحاجة والطلب [٢].

ولعل أقدم استخدام لألواح الرخام فى اليمن سواء للإضاءة أو للتسقيف ما وجد فى مفرج (منظر) قصر عمدان حيث يذكر الهمدانى أنه كان بأعلى القصر غرفة لها لهج وهى الكوة كل كوة منها بناء رخام وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة [٣] والذى انتقل استخدام الرخام منها فى الإضاءة عن طريق صنع المسارج أو عمل القمريات التى تغطى النوافذ فتسمح بدخول إضاءة خفيفة هادئة إلى غرف الدار .

٢ ـ الستائر الجصية :

اعتمد الفنان اليمنى على الجص اعتمادا كبيرا فى زخرفة المبانى وخاصة كسوة الجدران من الداخل وتحليتها من الخارج عن طريق تغطية قوالب الطوب أو أحجار البناء لأكسابها شكلا مميزا.

وكان الجص يستخرج من شبام الفراس كما ذكر الهمدانى ذلك بقوله (ومن شبام سخيم (الفراس) تحمل القصة إلى صنعاء) [٤].

---

(١) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٠١

(٢) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦١

(٣) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

(٤) الهمدانى : الاكليل ، جـ ٨ ، ص ١٥٠ ، ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ١٧٧

ويتميز الجص اليمنى بالتماسك والالتصاق الشديد وإذا ما استند عليه شخص فلا يطبع الالبسة ببياضه وإذا ما ثبت فيه مسمار فلا يتشقق أو يتفتت وإذا ما جصصت به الجدران أصبحت كانها الفضة ، وتعود شدة تماسكة إلى خبرة الفنان اليمنى الذى يقوم بخلطه واضافه العديد من المواد إليه من أهمها الغرا (١) وقد استخدم الجص أيضا فى صناعة العقود الجصية عندما قل استخراج الرخام فى اليمن وبالتالى غلا ثمنه ولذلك لجأ الفنان إلى ابتكار نوع جديد من تفشيات الفتحات يعرف باسم (العقد) مصنوع من الجص وقد ازدهر هذا النوع فى فترة حكم العثمانيين الثانية فى اليمن (٩٤٥ ـ ١٠٤٥هـ/ ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥م) وخاصة فى منطقة بئر العزب (٢).

والعقد الجصى لا يقصد به العقد المعمارى إنما هو عبارة عن نصف دائرة من الجص يتم تخريمها ووضع قطع من الزجاج الشفاف والملون فى تغطيه الخروم وقد تكون هذه العقود على هيئة دائرة كاملة أو على هيئة عقد مدبب وأحيانا بأشكال مربعة أو مستطيلة حسب الفتحة إلى سوف تفشى بها.

وعادة ما تزخرف هذه العقود بعدة أنواع من الزخارف تختلف من شباك إلى آخر إذ من النادر وجود عقدين متشابهين من الزخرفة فى غرف واحدة. والتى يغلب عليها الزخارف الهندسية فى المقام الأول تليها الزخارف النباتية ثم الحيوانية والكتابية قوامها تشكيلات من الدوائر وانصافها تحصر بداخلها أشكال نجمية أو وريدات كل خمسة فصوص

---

(١) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨

(٢) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٢١

منها بلون ويكتنف الدائرة فرعان نباتيان ثم يؤطر الجميع أوراق نباتية محورة وبعض القمريات أو العقود تحتوى على أكثر من نجمة إلى جانب أشكال المربعات .

كما شكلت بعض القمريات على هيئة بحور أو خراطيش بداخلها أشكال معينات ووريدات ثمانية وأوراق محورة كما تضم بعض القمريات تشكيلات من الرسوم الحيوانية لطيور من أهمها الطاووس وكذلك تشكيلات نباتية لعبارات دعائية وكلمات دينية مثل (الله) (بسم الله الرحمن الرحيم)، (ماشاء الله) ..... الخ.

وتشتهر أسر معينة فى صنعاء بصناعة هذه العقود (القمريات) توارثت مهنتها أبًا عن جد ومن أشهر هذه الأسرة بيت رسام وبيت الحيمى وبيت الهمدانى وبيت السلامى وآل اليمنى وبيت المقصص إلى جانب بعض أسر اليهود الذين كانوا يقيمون فى صنعاء مثل : النداب وأبو السعود [1] ويظهر ابداع فنانى هذه الأسر جليا وواضحا إذا ما علمنا أن الآلات المستخدمة فى أخراج وتنفيذ تلك التشكيلات الزخرفية تعتبر آلات بدائية وبسيطة لا تتعدى السكين للحفر والفرجار (البيكار) لتشكيل الدوائر والمسطرة (الجسكى) للرسم بالإضافة إلى أدوات معدنية ذات مقبض ووجه مسطح ناعم للتسطيح تعرف باسم (البروة والمالج)[2].

---

(١) غازى محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٤ ، ٦٥ و ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٢١

(٢) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٤ ، ٦٥

طريقة صناعة العقود :

تصنع العقود من مادة الجص الناعم يختلف عن ذلك الذى تكسى به الجدران وأسقف الغرف [١] وتتم عملية الصناعة أولا بخلط الجص بالماء مع التقليب جيدا ثم يترك لمدة خمس دقائق حتى يصبح الخليط عجينة غليظة ثم يقوم بفرد العجينة على لوح خشبى حسب حجم وسمك العقد المطلوب صنعة ثم يسوى سطح العجينة باستخدام (البروة) وقبل أن تجف العجينة يقوم برسم الحد الخارجى للعقد ثم ترسم الزخارف المطلوبة بواسطة الفرجار والمسطرة ثم يقوم بعمل التخريمات بواسطة السكين التى يزيل بها الجص من بين الزخارف المرسومة لاظهار الخروم وبعد أن ينتهى من عمل التخريمات يترك العقد لمدة يومين أو أكثر حتى يجف تماما ثم يقوم بوضع قطع الزجاج ـ المعدة سلفا حسب أشكال الخروم ـ الملون ثم يقوم بصب طبقة من الجص فوق العقد وقطع الزجاج، وبعد أن تسوى تترك لتجف ثم يقوم بإزالة طبقة الجص من على قطع الزجاج بنفس الأسلوب الذى استخدمه فى التخريم [٢].

ويتوقف سمك العقد على مدى اتساع الفتحة التى سوف يغشيها وغالبا ما يكون سمكه من ٣ ـ ٥ سم وأكثر العقود سمكا أكثرها اتساعا وبالتالى أكثرها دقة ومهارة ووضوحا فى الزخارف وتشكيلاتها.

أنواع الزخارف المستخدمة على العقود الجصية :

اعتمد الفنان فى زخرفة العقود الجصية على الزخارف النباتية والهندسية والحيوانية والكتابية.

---

(١) شيرلى كى : المرجع السابق ، ص ٢٢٢

(٢) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٨

(أ) الزخارف الهندسية :

استخدمت الدائرة بكثرة على العقود الجصية حيث نجد كثير من العقود زخارفها مكونة من تشكيلات هندسية على هيئة دوائر متداخلة فى بعضها أو على هيئة دائرة تتوسط العقد تحصر بداخلها نجمة خماسية أو ثمانية أو من عشرة فصوص تتفرع منها فروع نباتية أو تشكيلات هندسية أخرى أو يحيط بها أفرع نباتية وقد تكون تشكيلات العقد على هيئة مثلثات أو مربعات ومعينات وأشكال سداسية تنتج عن تقاطع الخطوط المستقيمة بالإضافة إلى أشكال متنوعة من الأطباق النجمية الأولية والأطباق النجمية الكاملة .

(ب) الزخارف النباتية :

أقل الفنان على استخدام العناصر النباتية بكثرة فى العقود لأنها تبرز مهارته فى التصميم والتشكيل على عكس التصميمات الهندسية التى تنتج عن تقاطع خطوط مستقيمة أو دائرية أما العناصر النباتية فتحتاج إلى رسم وتصميم على الورق أولا ثم تنفذ بمهارة على العقود الجصية .

ومن أهم العناصر النباتية التى استخدمها صانعوا العقود التفريعات الممتدة فى انسياب ورشاقة فى اتجاهات مختلفة تتقاطع مع بعضها على هيئة أفرع ملتفة من العنب وأوراقها بالإضافة إلى الأوراق الثلاثية المحورة والوريدات المتعددة البتلات والمراوح النخيلية وانصافها فى أسلوب يتميز بالتماثل والتكرار المتقن .

(جـ) الزخارف الحيوانية :

كما سبق الذكر فإن أغلب الزخارف الحيوانية مكونة من رسوم

طواويس ملونة جميلة وكذلك الطيور الصغيرة التى تقف على فروع العنب وتنقر عناقيدها إلى جانب النسر الناشر جناحية كرمز للقوة.

(د) الزخارف الكتابية:

تتجلى الزخارف الكتابية فى الآيات القرآنية القصيرة أو أجزائها إلى جانب ألفاظ الجلالة وأسماء الله الحسنى وعبارات الحمد والشكر مثل « الحمدلله ، قل هو الله أحد ، ما شاء الله، الشكر لله، الله، لا إله إلا الله » وكذلك المقتبسات الأدبية من حكم وأمثال وأبيات شعرية قصيرة.

وهذه العقود سواء الجصية أو الرخامية تعكس أجمل الأثر فى النفس من الخارج عند إضاءة الغرف ليلا ومن الداخل اثناء النهار عندما تنفذ أشعة الشمس من خلال شفافية الرخام أو تخريمات الجص المعشق بالزجاج نحو الداخل راسمة صورة ضوئية جميلة ملونة على الجدران الجصية البيضاء (١).

وللحفاظ على نظافة وتخريمات العقود والزجاج المعشق فيها من الخارج من الأتربة والأمطار لجأ الفنان إلى تركيب عقود إضافية خارجية تكون فى العادة معشقة بزجاج شفاف غير ملون (٢).

وقبل أن اختم الحديث عن العقود الجصية والرخامية اليمنية ينبغى أن ارد الحق إلى أصحابه وذلك بالإشارة إلى أن أقدم النماذج الهندسية للستائر الرخامية المخرمة فى العصر الإسلامى وجدت فى الجامع الأموى بدمشق أما أقدم الستائر الجصية فقد وجدت فى مصر واليمن على السواء فى كل من جامع أحمد بن طولون فى القاهرة (٢٦٥هـ) وجامع شبام

(١) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٦ ـ ٦٧

(٢) زيد بن على عنان : المرجع السابق ، ص ٤١

كوكبان فى اليمن (٢٥٤ ـ ٣٠٠هـ) وكانت هذه الستائر على هيئة تخريمات مفرغة قوامها زخارف هندسية من دوائر وأجزائها وأشكال نجمية خماسية وسداسية (١).

أما أقدم الستائر الجصية المخرمة والمعشقة بالزجاج الملون فقد وجدت فى مصر فى العصر الفاطمى وربما انتقلت إلى اليمن من مصر فى عهد الدولة الصيحية نظرا للروابط القوية والعلاقات الجيدة بين الفاطميين والصليحيين فى اليمن فى القرن الخامس الهجرى نظرا لانتمائهما لمذهب واحد .

٣ ـ الأرفف الجصية :

إلى جانب استخدام الجص فى عمل الستائر وتحلية الجدران استخدم فى عمل العديد من الأرفف فى أعلى جدران الغرف من الداخل وعلى ارتفاع قامة الإنسان بغرض وضع بعض أدوات الزينة عليها كالتحف والزهريات بالنسبة للديوان أو المفرج أو أدوات الزينة والأدوات الأخرى فى الغرف كل حسب وظيفتها، ويختلف طول وشكل الأرفف الجصية من مكان إلى آخر حيث يتراوح طولها ما بين ٥٠ ـ ٧٠ ـ ١٢٠سم وبعضها يأخذ شكل زاوية الغرفة، ويتم عمل هذه الأرفف بأن تثبت قضبان حديدية فى الجدار بحيث تبرز عنه بحوالى ١٥ سم والمسافة بين كل قضيب وأخر حوالى ٥سم ثم يتم تغطية القضبان بخلطة الجص من أعلى وأسفل بحيث تختفى القضبان تماما ثم يترك الجص ليجف قليلا ثم يسوى (بالبروة) .

(١) KRESWELL K . A . C. A Short Account of early Muslim Arch ite - cture; Second, Published 1989 , by the American university in Cairo, printed in Great Britain, P . 404 -- 405 .

ويتدلى من الطرف البارز من الرف زخارف جصية مفرغة لعناصر نباتية كالأوراق والزهور أو عناصر حيوانية كالطيور الصغيرة وكذلك الطاووس إلى جانب الأسود والبعض الآخر بعناصر كتابية قرآنية وأدبية .

ولا تخلو غرفة من غرف المنزل من وجود مثل هذه الأرفف حتى المطابخ والحمامات وذلك لكى توضع عليها مستلزمات المكان سواء أكانت تحف أم أدوات زينة أم أدوات صغيرة أم أدوات تنظيف .

الخـــاتمـــة

بعد أن انتهيت من البحث ووضعت فيه عصارة الجهد المبذول يمكن إيجاز أهم النتائج التى توصلت إليها خلال الدراسة ومن أهمها :

١ ـ تميزت منازل صنعاء بطابع معمارى فريد وأصيل يرجع فى أصوله إلى عصور ما قبل الإسلام من حيث تعدد الطوابق وأسلوب البناء وزخرفة الواجهات .

٢ ـ تتشابه تخطيطات المنازل الصنعائية إلى حد كبير من حيث التقسيمات الداخلية ومساحات الوحدات ومسمياتها ووظائفها .

٣ ـ استخدام مادة الحجر فى بناء الاساسات والطابقين الأرضى والأول لتتحمل الضغط الطارد عليها من الطوابق العلوية وكذلك لتقاوم انحدار السيول الشديد من الجبال ومروره فى الشوارع وكذلك لتقاوم رطوبة الأرض نظرا لكثرة أمطار اليمن .

٤ ـ استغلال حركة الشمس صيفا وشتاء فى عملية توزيع الوحدات السكنية على واجهات الدار .

٥ ـ تقسيم المدينة إلى حارات (احياء) وكل حارة تكون مجموعة من المنازل تحيط ببستان يسمى المقشامة والذى يعتبر متنفسا لساكنى الحى وكذلك لامداد السكان بما يحتاجونه من الخضروات .

٦ ـ تتميز منازل صنعاء بوجود غرفة فى اعلى المنزل تعرف باسم المنظر أو المفرج مخصصه للراحة والقيلولة لأفراد الأسرة والأقارب.

٧ ـ تخصيص طابق للنساء وأخر لاقامة الرجال الذين لم يتزوجوا بعد أما الرجال المتزوجون فيخصص لكل منهم طابق خاص.

٨ ـ استخدام الجص فى تكسية الجدران من الداخل لما له من خاصية اكتساب الحرارة وتدفئة المنزل وكذلك تحلية الزخارف فى الواجهات الخارجية لاظهار جمالها.

٩ ـ تغطية أرضيات الحمامات وسطح المنزل بمادة القضاض وهى مادة عبارة عن خليط من الجص والتورة والنيس ومواد أخرى بحيث عندما تجف تصبح صلبة صعبة الاختراق وهى تشبه مادة الخافقى فى مصر.

١٠ ـ بناء المطبخ الرئيسى فى أعلى الدار حفاظا على حرمة النساء وكذلك حتى لا تتسرب ابخرة الطعام ودخان الأفران إلى بقية الغرف.

١١ ـ تخصيص غرفة كبيرة للراحة وتناول القات مع الاصدقاء تعرف باسم الديوان وكذلك تخصيص حجرة أخرى تسمى مكان الوسط لاجتماع العائلة.

١٢ ـ استخدم المعمار اليمنى العديد من المصطلحات المعمارية والفنية المحلية التى ترجع أصولها إلى ما قبل الإسلام مثل : « المنظر، القمرية، الجبأ (السطح) المردم (العتب).

تلك كانت أهم النتائج التى امكننى التوصل إليها وتلك نظرة عامة عن مدينة صنعاء الماضى والحاضر صنعاء التى حافظت على طابعها المعمارى المتميز إلى ما قبل ثلاثين عام حينما كانت بلاد اليمن بلدا مجهولا لمعظم بلدان العالم.